

شبهات المستشرق الألماني
رودي باريت حول السنة النبوية
من خلال كتابه
(محمد والقرآن)

إعداد

م. محمد خلف عبدالفهداوي

جامعة الانبار - كلية التربية للعلوم الانسانية



المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ تَحْمَدُهُ وَتُسْتَعِينُهُ مَنْ يَهْدِيهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . أَحْمَدُ اللَّهِ عَلَى
فضله ، وَأَشْكُرُهُ عَلَى تَوَاتُرِ نِعَمَائِهِ ، وَأُصَلِّي وَأُسَلِّمُ عَلَى خَاتَمِ أَنْبِيَائِهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَيْرِ
أَصْفِيَائِهِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَخِصَّائِهِ، ومن سار على نهجه الى يوم الدين .
أَمَّا بَعْدُ :

فإن من أفضل ما يمكن أن يقدمه الباحثون من جهد هو الدفاع عن القرآن
الكريم والسنة النبوية المطهرة ، والتصدي لما يوجه إليهما من شبهات وطعون .
وقد تعددت هذه الشبهات وتنوعت ، فتارة تأتي من الداخل وتارة تأتي من
الخارج ، ولكل منها وسائله وأساليبه المختلفة المتنوعة ، والتي اتفقت على تشويه حقيقة
الإسلام ، وتفتير الناس منه.

ومن هذه التيارات (الاستشراق) الذي سعى إلى تليق الشبهات القديمة بثوب
عصري يتماشى مع الدعوات العلمية ، لذلك ارتأيت المساهمة في التصدي لمثل هذه
التيارات ، والكشف عن حقيقتها ، ومدى مصداقية الموضوعية التي ادعاها روادها
وأثاروها للتكيل بالإسلام .

واخترت لهذا نشاط أحد المستشرقين الألمان ، وهو المستشرق (رودري باريت)
الذي اشتهر بترجمته للقرآن الكريم ، وبتأليفه لكتاب (محمد والقرآن) ، فكان موضوع
هذا البحث : (شبهات المستشرق الألماني رودري باريت حول السنة النبوية) . وكان
غرضي هنا الوقوف على حقيقة جهود هذا المستشرق ، وهل كان امتداداً لمن سبقه من
المستشرقين أو أنه التزم الحيادية الموضوعية كما ادعاها روائده في هذا المنهج العلمي
الحق .

وبعد أن وقفت على أبرز أقواله في السنة النبوية ، عرضتها على جهود غيره ، وقومتها
ووجهت نقدي لها في ضوء المعايير الحديثية والثابت العلمية .

وقد كانت خطة هذا البحث كالآتي :

المقدمة ، وهي التي بين يدي القارئ الكريم .

المبحث الأول : تعريف الاستشراق .

المبحث الثاني : ترجمة المستشرق رودري باريت .

المبحث الثالث : منطلقات رودري باريت الفكرية .



المبحث الرابع : الشبهات التي أثارها حول السنة النبوية .

ثم خاتمة بينت فيها أهم النتائج والتوصيات ، وألحقت بها قائمة المصادر والمراجع .

وإني لأرجو من الله العليّ القدير أن أكون قد وقّفتُ في عملي هذا ، وأسأله المغفرة عن كل خطأ وتقصير ، وأرجو أن يتقبل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ، و نصرةً لدين الحق والدفاع عن السنة النبوية من كيد المستشرقين أنه ولي ذلك والقادر عليه ، والله الموفق .

المبحث الأول

تعريف الاستشراق

من المناسب قبل الشروع في هذا البحث أن أعرف الاستشراق لغةً واصطلاحاً ونظراً لشيوع هذه التعريفات واشتهارها ، فسأتناولها بإيجاز هنا مركزاً على الراجح من الأقوال .

أولاً . الاستشراق لغة : لفظه استشرق على وزن (استفعل) مشتقة من الفعل (شَرَقَ) ، وتأتي على عدة معانٍ، منها:

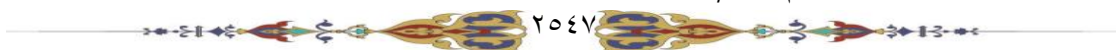
١. طلب الشيء، والمعنى: طلب لغات الشرق، وعلومه، وأديانه.
٢. التعرف على الشيء، ومنه: التعرف على العالم الشرقي من خلال الدراسات اللغوية، والدينية، والتاريخية، والاجتماعية، وغيرها.
٣. الأخذ من ناحية المشرق^(١).

ولم ترد كلمة (استشرق) في قواميس اللغة العربية القديمة . والاستشراق: كلمة مشتقة من مادة (شرق) يقال : " شرقت الشمس شروقاً إذا طلعت " ^(٢).

والمراد بها طلب الشرق، أي : طلب علوم الشرق وآدابه ولغاته وأديانه ، وهو ما يوحي إليه حرفا السين والتاء التي هي حروف تدل بمجموعها على الطلب أي :

(١) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، (ت١٤٢٤هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ. ٢٠٠٨م : ٢ / ١١٩٢ .

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، (ت٧٧٠هـ)، أشرف عليها يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط ١، ١٤٢٣هـ. ٢٠٠٢م : ٣٢/١ و المعجم الوسيط، قام بإخراجه : إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد علي النجار، دار الدعوة، تركيا، ط٣، ١٩٨٩م : ٤٨٢/١.





طلب علوم الشرق ولغاتهم، يقال لمن يعنى بذلك من علماء الفرنجة^(١) .يقال : شرق: شرقت الشمس تشرق شروقاً وشرقاً: طلعت، واسم الموضع: المشرق.. والتشريق: الأخذ في ناحية المشرق، يقال: شتان بين مشرق ومغرب، وشرقوا ذهبوا إلى الشرق، وكل ما طلع من المشرق فقد شرق^(٢) .

وفي الحديث الشريف : « لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا أو غربوا »^(٣).

ثانياً . المعنى الاصطلاحي للاستشراق:

يختلف الباحثون كثيراً في المراد من مصطلح (الاستشراق) ، فقد ذهب الساموك إلى أنه علم يدرس لغات الشرق وتراثه وحضارته ومجتمعاته وماضيه وحاضره^(٤) .

ويقول الدكتور محمود حمدي زقزوق : " هو الدراسة الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي " ويطلق على كل غربي يشتغل بدراسة الشرق كله أقصاه ووسطه وأدناه في لغاته وآدابه وحضاراته وأديانه وعقائده^(٥) .

ويقول د. محمد خليفة حسن : " الاستشراق من أقدم الحركات الفكرية الغربية المستخدمة للعلم والمستغلة له، كوسيلة لدراسة الشرق من ناحية، وتحقيق تغريبه وفرض الهيمنة عليه من ناحية أخرى "^(٦). واستعمل المحدثون ترجمة لكلمة (Orientalism) التي تدل على معنى (مستشرقون)، أما المحققون فيستعملون بدلا منها (علماء

(١) معجم متن اللغة ، أحمد رضا ، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٨م : ٣/٣١١.

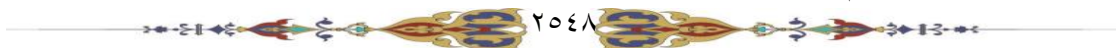
(٢) لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٦٨م : مادة (شرق) ١٠/١٧٣ .

(٣) متفق عليه من حديث أبي أيوب الأنصاري . رضي الله عنه . . صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، (ت٢٥٦هـ)، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ودار اليمامة، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م : كتاب الطهارة ، باب لا تستقبل القبلة ببول ولا غائط ، ١/ ١٥٤ ، رقم (٣٨٦) و صحيح مسلم . لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت٢٦١هـ)، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت : كتاب الطهارة ، باب الاستطابة : ١/ ٢٢٤ رقم (٢٦٤) .

(٤) ينظر: مناهج المستشرقين ، د.سعدون الساموك . جامعة بغداد ، ١٩٨٥م : ٨.

(٥) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، محمود حمدي زقزوق. دار المعارف ، مصر ، ١٩٩٧م : ١٢.

(٦) أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر ، د. محمد خليفة حسن ، جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ، ٢٠٠٠م : ١٩٣.



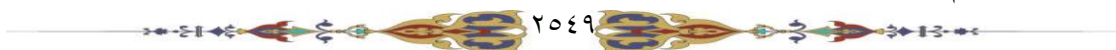


المشريقيات) ، ولكن كلمة (مستشرقون) صارت أكثر شيوعاً في الآونة الأخيرة^(١) . والمستشرق هو : عالم غربي اهتم بالدراسات الشرقية عقديّة كانت أو تاريخية أو أدبية أو حضارية... الخ ، فالاستشراق إذن هي دراسة الغربيين عن الشرق من ناحية عقائده أو تاريخه أو آدابه ... إلى غير ذلك^(٢) . ويرى المستشرق رودى باريت (Rudi Paret) أن الاستشراق هو " علم يختص بفقه اللغة خاصة ، وأقرب شي إليه إذن أن نفكر في الاسم الذي أطلق عليه كلمة استشراق مشتقة من كلمة 'شرق' وكلمة شرق تعني مشرق الشمس ، وعلى هذا يكون الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي " ^(٣) .

ويقول باريت (Paret) : إن الاستشراق في ألمانيا وغيرها من البلدان الأوروبية مادة علمية معترف بها من الجميع ، فقد تم له ذلك الاعتراف ، وتوشك هذه المادة أن تكون ممثلة في كل جامعة من الجامعات بكرسي رسمي يشغله أستاذ ، ثم هناك عدد عظيم من وظائف المدرسين والمعيدّين في تخصص الاستشراق إلى جانب الأساتذة ، كما أن المجتمع الأوربي ممثلاً في الحكومات والمجالس النيابية يضع تحت تصرف المستشرقين الإمكانات اللازمة لإجراء بحوث الاستشراق ، وللحفاظ على نشاطهم التعليمي في هذا المضمار^(٤) .

وهناك مفهوم خاص ويعني : الدراسات المتعلقة بـ (الشرق الأوسط) لغته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام^(٥) .
أو هو " علم يدرس فيه لغات الشرق وتراث وأديان شعوبها وحضارتهم وتاريخهم ، وكل ما يتعلق بهم " ^(٦) .

-
- (١) ينظر : آراء المستشرقين حول القرآن الكريم دراسة ونقد ، د . عمر بن إبراهيم رضوان ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ، بلا تاريخ : ٢٢ .
- (٢) ينظر : آراء المستشرقين : ٢٣ .
- (٣) الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية (المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه) ، رودى باريت ، ترجمة مصطفى ماهر ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧م : ١١ .
- (٤) الدراسات العربية والإسلامية : ١٣ .
- (٥) ينظر : تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي ، عبد الجبار ناجي . منشورات دار الجاحظ ، بغداد ، ١٩٨١م : ١٣ .
- (٦) الاستشراق والتاريخ الإسلامي ، د. فاروق عمر فوزي . الدار الأهلية للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط١ ، ١٩٩٨م : ٣٠ .





" فمصطلح الشرق يرجع إلى العصر الوسيط، بل إلى العصور القديمة، إلى الوقت الذي كان فيه البحر المتوسط يقع . كما قيل . في وسط العالم ، إذ كانت الجهات الأصلية تتحدد بالنسبة إليه ؛ لكن لما انتقل مركز ثقل الأحداث السياسية بعد ذلك من البحر المتوسط إلى الشمال بقي مصطلح الشرق على الرغم من ذلك دالاً على تلك الدول الواقعة شرق البحر المتوسط، إلا أن لفظة الشرق قد تعرضت في أعقاب الفتوحات الإسلامية لتغيير آخر في معناها، فشملت البلاد المفتوحة في إفريقيا ، ومنذ تلك الفتوحات تعد مصر وبلدان شمال إفريقيا من الشرق، بل يختص الاستشراق حتى بشمال غرب إفريقيا المسمى بالغرب، وإن كان اسمه يفترض أنه يختص بالبلدان الشرقية دون غيرها " (١) .

وبغض النظر عن مدى الاتفاق والاختلاف مع كل تعريف من التعريفات السابقة ، فإن المقصود هو الانطلاق من تعريف الاستشراق إلى بيان حقيقته التي أجملها كثير من الباحثين في كونه وثيق الارتباط بالتنصير والاستعمار الغربي مفتقداً للأمانة العلمية والموضوعية البحثية عند تناول الإسلام بوجه خاص ، وأنه يسهم بشكل فعال في صنع القرار السياسي في الغرب تجاه الإسلام والمسلمين (٢) ، وأن الاستشراق يمثل وبصدق موقف الغرب من الإسلام وحضارته (٣) .

المبحث الثاني

ترجمة المستشرق رودى باريت

أولاً . اسمه وولادته :

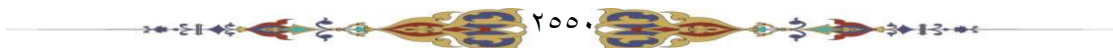
هو رودى بارت Rudi Paret : ولد في ٣ نيسان (أبريل) سنة ١٩٠١م في Wittendorf بنواحي Freudenstadt في الغابة السوداء بجنوبي ألمانيا؛ من أسرة يكثر فيها القساوسة المسيحيون ، وهو أحد الأبناء الخمسة للراهب وليام باريت ، وأمه ماريا مولر ابنة مصلح ساعات في مدينة تورنكن Tübingen (٤) .

(١) الدراسات العربية : ١٢ . ١٣ .

(٢) ينظر : رؤية إسلامية للاستشراق ، أحمد عبدالحميد غراب ، المنتدى الإسلامي ، لندن ، ط٢ ، ١٤١١هـ : ٨ .

(٣) ينظر : نبوة محمد ﷺ في الفكر الاستشراقي المعاصر ، لخضر شايب . مكتبة العبيكان ، السعودية ، ٢٠٠٢م : ٣١ .

(٤) ينظر : موسوعة المستشرقين، د. عبد الرحمن البدوي ، دار العلم للملايين ، ط٣ ، بيروت ، ١٩٩٣م : ٦٢ .





ثانياً . نشأته العلمية :

توفي أخويّ باريت (كال) و (ألفرد) في عام ١٩١٦ أبان الحرب العالمية الأولى ، والتحق رودري في العام نفسه إلى الفصل الراسي لعلم اللاهوت في مدينة أوراخ (Orach) ومدينة سونتال (Suntal) ودرس رودري باريت منذ مطلع العام ١٩٢٠ علم اللاهوت البروتستاني في جامعة تورنكن بعدما حصل على منحة دراسية من قبل الوقف البروتستاني ، وقد غير دراسته التي كان يميل إليها إلى الاستشراق ، وتلمذ في الدراسات العربية على يد أستاذه إنو لتمان (Enno Littmen) فدرس عليه اللغات السامية والتركية والفارسية في المدة من ١٩٢٠ حتى ١٩٢٤م ، فحصل منها على الدكتوراه الأولى في سنة ١٩٢٤م عن دراسته (الرواية العربية الشعبية) وكان مدار البحث سيرة سيف بن ذي يزن . وفي عام ١٩٢٦ حصل على إجازة التدريس في معهد الاستشراق في مدينة تورنكن . وفي عام ١٩٢٦ حصل على إجازة التدريس في مدينة تورنكن وعمل هناك بوصفه أستاذاً جامعياً خاصاً ، وقد أتاح له موقعه هذا الحصول على مقعد تدريسي في مجال العلوم السامية وعلوم الإسلام ، كما كان عضواً في المعهد المسيحي الألماني ، وهو معهد يعنى بالدراسة والبحث في التأثير اليهودي في الحياة الكنيسة في مدينة أيسن ناخ (Essen nach).

انخرط في خدمة الجيش سنة ١٩٤١م مترجماً للمارشال رومل في شمال أفريقيا ، وأسر في نهاية الحرب ووضع في مركز اعتقال الجيش الأمريكي ، وقضى عدة سنوات في معسكر في ترينيداد وكتب فيه بعض المقالات ، وظل في الأسر حتى عام ١٩٤٦م . أمضى سنتين في القاهرة (١٩٢٥-١٩٢٦)، كان اهتمامه في البداية بالأدب الشعبي ولكنه تحول إلى الاهتمام باللغة العربية والدراسات الإسلامية وبخاصة القرآن الكريم . وفي سنة ١٩٤٨ تزوج رودري ابنة فالتر كوبيرسا (Walter Koperss)^(١).

ثالثاً . مناصبه العلمية :

1. عين مدرّساً مساعداً في قسم الدراسات الشرقية في جامعة توبجن إثر حصوله على دكتوراه التأهيل للتدريس في الجامعة سنة 1926م.
2. وفي سنة 1941م شغل كرسي علوم الإسلام والساميات في جامعة بون خلفاً لباول كاله (kahle).

(١) ينظر : موسوعة المستشرقين : ٦٢ .



3. في سنة ١٩٥١م عين أستاذاً للساميات والإسلاميات في جامعة تورنكن، حتى أحيل إلى التقاعد في ٣٠/٩/١٩٦٨م^(١).

رابعاً . علومه ومعارفه :

رودي باريت واحد من أهم المستشرقين الألمان الذين ارتبطت أسماؤهم بالقرآن الكريم، وهو صاحب أشهر ترجمة علمية للقرآن الكريم، والتي نالت قدراً من التبجيل والاحترام في جميع الأوساط العلمية، سواءً بين الألمان أو المسلمين، ليس هذا فحسب، ولم يتوقف اهتمامه بالقرآن على الترجمة فحسب ، بل أتبّع ترجمته بعدة كتب في الدراسة حول القرآن، من هذه الدراسات الدراسة التي تحمل عنوان: "محمد والقرآن"، وهي دراسة موسّعة، حاول فيها الحديث عن الملابس التي سبقت القرآن^(٢) ومن مؤلفاته زيادة على ترجمته للقرآن الكريم :

١. «محمد والقرآن» Mohammed und der Koran وهي عرض واضح قصد به جمهور الناس غير المسلمين لتفهمهم حقيقة رسالة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) .

٢. «الإسلام والتراث الثقافي اليوناني»، وهو عبارة عن رسالة قصيرة، ظهرت سنة ١٩٥٠، وفيها فحص أحوال البحث في التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية سواء في ألمانيا وخارجها حتى سنة ١٩٥٠.

٣. وله كتاب عن القرآن بعنوان (القرآن تعليق وفهرست).

٤. كتاب (الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية).

٥. كتاب (النقص في المرويات عن الاسلام الاول)، في الكتاب

التذكاري ل R.Tschudi.

٦. وله بحوث في القرآن منذ أواخر القرن الماضي .

٧. أسهم باريت في تحرير " دائرة المعارف الإسلامية ".

(١) ينظر : موسوعة المستشرقين : ٦٢ و الاستشراق ، د مازن بن صلاح مطبقاني ، منشورات مكتبة الملك فهد ، السعودية ، ٢٠٠٥م : ٧١ .

(٢) ينظر: ترجمة معاني القرآن الكريم في ألمانيا الدوافع والأهداف ، الدكتور محمود العلي حسينات ، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الأول للباحثين في القرآن الكريم وعلومه في موضوع : جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم ، فاس للمدة من ١٤.١٦ أبريل ٢٠١١م : ٤٠٢ .





٨. الرمز في الإسلام صدر عام ١٩٥٨م^(١) .

زيادة على عدد من المؤلفات بالألمانية^(٢)

خامساً . وفاته :

توفي رودري باريت في مدينة تورنكن ٣١ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٨٣ ، إثر مرض قصير المدة^(٣) .

المبحث الثالث

منطلقات رودري باريت الفكرية

انصفت أغلب جهود المستشرقين بسمات محددة غلب عليها : إنكار الوحي والنبوة وتكذيب الرسول ﷺ وإثارة الشبهات حول الإسلام ، وهذا الموقف هو امتداد لموقف مشركي مكة والجزيرة العربية ، وموقف اليهود والنصارى في العهد النبوي .
والجديد في طروحات المستشرقين المعاصرة هو ادعائهم الموضوعية العلمية ، والأمانة في البحث العلمي ، والتجرد عن الأهواء ، والبحث عن الحقيقة المجردة ، وغير ذلك من شعارات موهوا بها على بسطاء التفكير من الغربيين أو على من تأثر بهم من العرب والمسلمين .

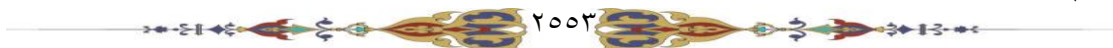
وإن كان الجديد فيه إلباسه لبوس الحياد والنظرة العلمية المجردة وتجنب القبح المباشر، وإن كان كثير من المستشرقين يعجز عن ضبط ميوله الذاتية فيقع في هذا القبح الفج المباشر في الإسلام ونبي الإسلام في كثير من الأحيان .
ولقد أكد رودري باريت أن الهدف الرئيس من جهود المستشرقين في القرن الثاني عشر الميلادي ، وفي القرون التالية هو التنصير، وعرفه بأنه إقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام، واجتذابهم إلى النصرانية^(٤) .

(١) ينظر : المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام ، محمد البهي (ت ١٤٠٢هـ) ، مطبعة الأزهر ، مصر ، بلا تاريخ : ١٧ .

(٢) ينظر : مناهج المستشرقين الألمان في ترجمات القرآن الكريم في ضوء نظريات الترجمة الحديثة محمود محمد حجاج رشدي ، بحث نشر ضمن أبحاث ندوة القرآن الكريم في الدراسات الإستشراقية ، السعودية ، ١٤٢٧هـ . ٢٠٠٦م : ١٤ .

(٣) ينظر : موسوعة المستشرقين : ٦٢ .

(٤) ينظر : الدراسات العربية : ١١ .





إلا أن هذه الأهداف اكتسبت أبعاداً أخرى بمرور الزمن ، فترافق معها أطماع اقتصادية وعلمية واستعمارية^(١).

ومنذ أواسط القرن التاسع عشر، حاول الاستشراق اكتساب صفة (العلمية) ، وبدأ يتحلى بالموضوعية، ولو بصورة نسبية، عندما تحول إلى علم قائم على النقد التاريخي ، فلم تعد غايته البرهنة على ضعة العالم العربي الإسلامي؛ وإنما حاول أن يطبق المعيار النقدي على تاريخ الإسلام كما يطبقه على تاريخ فكره الخاص . ولاحظ باريت أنه لم تأت هذه العلمية " إلا عندما تأكد استعداد الناس للانصراف عن الآراء المسبقة، وعن كل لون من ألوان الانعكاس الذاتي، والاعتراف لعالم الشرق بكيانه الخاص الذي تحكمه نظمه الخاصة، وعندما اجتهدوا في نقل صورة موضوعية له ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً "^(٢) .

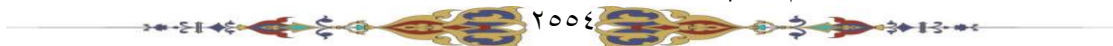
إن ابرز المنطقات الفكرية لرودي باريت قامت على مبدأ إنكار النبوة ، لذلك لن نتوقع أن يقدم باريت أية فكرة إيجابية تتعلق بالإسلام وبالمسلمين وإن ألبس كلامه هنا وهناك ببعض الثناء الحذر ، أو استشهاد بكتب الحديث والسيرة وانتقاء ما يناسب غرضه ، وتأويله تأويلاً فاسداً يتوافق مع مزاعمه وأن الإسلام عبارة عن مزيج من الأفكار الدينية الشائعة في جزيرة العرب وفي مقدمتها اليهودية ، النصرانية والكهان^(٣) ومن أمثلة ذلك استشهاده بما جاء في كتب السيرة ، فقد ذكر التقاء النبي - صلى الله عليه وسلم - مع حجاج المدينة فسألهم : ((من انتم؟)) قالوا: نفر من الخزرج، قال: أمن موالي يهود؟ قالوا: نعم، قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟، قالوا: بلى، فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن، فما كان من هؤلاء النفر إلا أن نظر بعضهم إلى بعض وقالوا: تعلموا والله أنه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا يسبقنكم إليه))^(٤) .

(١) ينظر : المستشرقون الناطقون بالإنجليزية ، دراسة نقدية ، د. عبد اللطيف الطيباوي ، ترجمة : د. قاسم السامرائي ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، السعودية ، ١٩٩١م : ١٩ .

(٢) الدراسات العربية : ١٧ .

(٣) ينظر : محمد والقرآن ، رودري باريت ، ترجمة : الدكتور رضوان السيد ، مؤسسة شرق غرب للنشر ، ط ١ ، الإمارات ، ٢٠٠٩م : ٢٦ . ٥٤ .

(٤) السيرة النبوية، لأبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري البصري، (ت ٢١٣هـ)، تقديم وتعليق : طه عبدالرؤف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ : ١/٢٥٠ و تاريخ الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبري، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، (ت ٣١٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ . ١٩٧٨م : ٢/٣٥٠ .





فهذا النص قد استشهد به رودى باريت لأن فيه ذكر اليهود ، وقد أوله تأويلاً غريباً ، فقال : " فليس عجباً والحال هذه أن يكون محمد وبعد أن قابلت دعوتُهُ بمكة الأذن الصمّاء ، قد وجد من يستمع إليه بالمدينة ، وبين سكانها يهود كثيرون ، فهاجر إليها واستقر بها وسط المعتنقين الجدد لدعوته من أهلها " (١) .

إن الموضوعية العلمية تقتضي أن يطرح رودى باريت احتمالات أخرى ، منها : ما سبب امتناع اليهود من الدخول في الدين الجديد ، إذا كانوا هم السبب حقاً في استجابة أهل المدينة ؟

ثم إن كان هذا الدين قد تأثر بطروحات اليهود وأفكارهم أليس من المنطقي أن يتحالف اليهود مع من يقتبس أفكارهم عوضاً عن تحالفهم مع المشركين ؟

وفي محاولة أخرى يسعى (رودى باريت) إلى إيجاد صلة بين الإسلام والوثنية تمهيداً للقول بأن النبي . صلى الله عليه وسلم . قد تأثر بالوثنية ، فيقول : " وقد نشأ محمد في تلك الجاهلية ، وسط التصورات الوثنية العربية ، وكبر في مراتبها ، قبل أن يتماس مع الديانات الأخرى غير العربية ، وتحت التأثيرات المتنافسة في وعيه ، أعلن عن دعوته باعتباره حامل عقيدة جديدة " (٢) .

وهذه شبهة قديمة . جديدة ، فقد حاول (رودى باريت) إضفاء لمسة مقتبسة من طروحات علم النفس ، بأن التأثير الوثني انعكس في فكر النبي . صلى الله عليه وسلم . اللاواعي ، أي عن غير قصد منه .

ولو لجأنا إلى الموضوعية العلمية التاريخية التي ادعاها رودى باريت لكان لزاماً عليه أن يجيب عن الأسئلة الآتية ؟

لم تأثر النبي . صلى الله عليه وسلم . بديانة قومه ، ولم لم يتأثر الأنبياء الذين سبقوه بديانات أقوامهم ؟ ولا سيما أن رودى باريت يقرُّ بنبوّة موسى وعيسى . عليهما السلام وغيرهما ؟

ولو ناقشنا قوله : (التأثيرات المتنافسة في وعيه) من المنظور النفساني لوجدنا ما توصل إليه يناقض المنطق العلمي ، فالأفكار المتناقضة لا بد وأن تنعكس بشكل أو بآخر على الفكرة المتولدة أو التركيب ، وهذا منتفٍ تماماً في القرآن الكريم ،

(١) محمد والقرآن : ١٧ . ١٨ .

(٢) محمد والقرآن : ٢٢ .





وفي أقوال النبي . صلى الله عليه وسلم . قال سبحانه وتعالى : ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (١) .

وفي محاولة منه لإثبات تأثر الإسلام بالوثنية يقيم باريت دليلاً على ذلك ممثلاً بحج بيت الله الحرام ، فهو يرى أن أهل مكة يقدسون حجراً أسود مازال مقدساً حتى الآن، وكان هذا الحجر في أحد حوائط الكعبة الخارجية، والكعبة عبارة عن بناء مكعب الشكل، كان ينظر إليه على أنه مقرُّ الألوهية (بيت الله) (٢) .

وهذا التصور مفهوم ومتوقع من (رويدي باريت) بعد أن نزع عن الإسلام صفة الديانة الإلهية ونظر إليه على أنه حركة تاريخية كغيره من الحركات .

ولعل أغرب ما جاء به رودري باريت هو إيجاد صلة بين دعوة النبي . صلى الله عليه وسلم . وبين الجن والكهان ، وقد ركز في هذا الموضوع على أمرين :

الأول . الحديث عن وحي الشعراء وربطه بالوحي المنزل على النبي . صلى الله عليه وسلم . .

الثاني . سجع الكهان ، وربطه بالسجع القرآني .

ولا يخفى أنه أراد من هذا كله نفي النبوة وبالتالي نفي كون القرآن الكريم وحياً من الله تعالى ، وفيما يأتي إيجاز بذلك :

يتحدث رودري باريت ظاهرة كانت شائعة في عصر ما قبل الإسلام بأن لكل شاعر مميز كان له رديف من الجن؛ فيقول : " وكان محمد النبي يعتبر نفسه متصلاً بالعالم الأعلى أيضاً ؛ لكن اعتقاده كان أن المتصل به من ذاك العالم ليس أي (جن) بل هو منتم إلى عالم الملائكة ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ (٣) ، وهو أمين مأمون ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ (٤) وهو الروح القدس " (٥) .

وهو يكرر أقوال مشركين مكة، الذي اعترف هو نفسه، بأن خصوم محمد . صلى الله عليه وسلم . كانوا يتهمونها بها ، لكنه عدّ هذه الأقوال شهادة على صدق فرضيته (٦) .

(١) سورة النساء : الآية ٨٢ .

(٢) ينظر : محمد والقرآن : ٢٣ .

(٣) سورة الحاقة : الآية ٤٠ ؛ سورة التكويد : الآية ١٩ .

(٤) سورة الشعراء : الآية ١٩٣ .

(٥) محمد والقرآن : ٣٤ .

(٦) ينظر : محمد والقرآن : ٣٣ . ٣٤ .



ولا يكتفي بهذا الوهم المفترض ، بل عدَّ كل خبر إسلامي يروى عن كهان قريش موضع شبهة ، وقال : " فإن الحذر مطلوب عند تقييم الأقوال المنسوبة إلى أولئك العرافين من جانب الرواة " (١) .

وهو أمر يثير الحيرة أن يدافع رجل يدعي العلم والنزاهة عن كهان لا يعرف عنهم شيئاً في مقابل الطعن برواة الأحاديث الذين جهد علماء الجرح والتعديل في توثيقهم بشروط يندر وجودها في أي نشاط تاريخي توثيقي .

والذي يبدو أن المؤلف ساير سابقيه من المستشرقين بهذه الفرية بسبب جهلهم باللغة العربية وببلاغتها ، وقد أوهمهم تسمية (السجع) فظنوا أنهما صورتان لحقيقة واحدة .

ويقول : " والملفت للانتباه على وجه الخصوص أن الكهان يؤكد نبوءته بالقسم ، ومثل هذه الأقسام غير المفهومة في كثير من الأحيان ، تبدو في سور الوحي المحمدي الأولى ، ولولا ذلك لما كان بوسع خصومه اعتباره كاهناً ﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ (٢) ، ﴿ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٣) الخ " (٤) .

وهنا يلاحظ أيضاً تصميم رودري باريت على ترجيح أقوال مشركي مكة على أقوال الرسول . صلى الله عليه وسلم . لأدنى شبهة .

لو افترضنا جدلاً أن ما جاء به الرسول . صلى الله عليه وسلم . هو من قبيل وحي الكهان ، وأن القرآن هو من سجع الكهان ، فلم عجز الكهان وفصحاء العرب عن الإتياء بمثله ؟ وهذه إحدى معجزات القرآن الكريم ؟

يبدو أن باريت تناسى أن القرآن نزل بلغة العرب وبأساليبهم ، ولا أدري ما الصفة التي يريدها أن تتوافر في القرآن الكريم لكي يقر بأنه من عند الله تعالى ؟

إن هذه المنطلقات التي انطلق منها رودري باريت أكدت ما يأتي :

١ . ساير مقولات المستشرقين السابقة المناوئة للإسلام تحت ذريعة البحث الموضوعي من أجل فصل الإسلام عن الوحي الإلهي .

٢ . حاول ان يتصيد كل صغيرة و كبيرة من أجل الطعن بالإسلام .

٣ . وقع في تناقضات كثيرة مردها النية المبيتة والجهل بالواقع العربي قبل الإسلام .

٤ . لم يأت رودري باريت بجديد بل هو على نهج سابقيه من الذين طعنوا في السنة النبوية .

(١) محمد والقرآن : ٣٥ .

(٢) سورة الطور : الآية ٢٩ .

(٣) سورة الحاقة : الآية ٤٢ .

(٤) رودري باريت : محمد والقرآن ، هامش ص ٣٦ .



المبحث الرابع

الشبهات حول السنة النبوية

في كتابه محمد والقرآن تعامل رودري باريت مع السنة النبوية موضع التشكيك ، وقد وضع نصب عينيه أن يوظف ما فيها للطعن بالنبوة ، وتكذيب الوحي ، فكان منهجه في هذا :

- ١ . تجاهل النصوص التي توافق غرضه مع أنها قد وردت في مصادره التي اعتمدها في كتابه (محمد والقرآن) .
 - ٢ . الاعتماد على الروايات الموضوعة .
 - ٣ . ليّ النصوص وتحريفها أو تأويلها تأويلاً مغلوطاً .
 - ٤ . ينتقي ما يشاء مما يوافق أغراضه .
- وفيما يأتي بعض الشواهد على ذلك :
- أولاً . تجاهل النصوص :**

عندما لا يجد رودري باريت النصوص التي تؤيد مزاعمه يلجأ إلى التخمين والفرضيات ، مع أن الإجابة واضحة جلية ، ومن ذلك قوله : "ويبدو أن محمداً كان على دين قومه في فتوته وشبابه ، بيد أن القرآن لا يتحدث عن شيء من ذلك" (١) .

إن هذا المنهج لا يمت . كما هو معلوم . إلى المنهج العلمي بصلة ، وهو يظهر جلياً تحامل رودري باريت وتحريفه للحقائق وغيض البصر المتعمد عن الأدلة التي تناقض قوله ، إذ ليس هناك أي مصدر تاريخي يشير إلى أن النبي . صلى الله عليه وسلم . قد سجد لصنم أو شارك الجاهلية في عبادتها ، بل العكس هو الصحيح إذ كان يتحنث في غار حراء (٢) ، ولاسيما أن خبر التحنث في غار حراء ورد في صحيح البخاري الذي كان من مصادره التي اعتمد عليها في كتابه

فقد روت أم المؤمنين عائشة . رضي الله عنها . ((كان أول ما بدئ به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه ، وهو

(١) محمد والقرآن : ٢٤ .

(٢) ينظر : خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم ، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة . ١٤٢٥ هـ ، ٢٨١/٤ : .





التعبد الليالي أولات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى فجئه الحق وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فقال اقرأ)) ... الحديث (١) .

فلا يفترض بمن ادعى الموضوعية والحيادية أن يحرف الحقائق أو أن يعرض عنها ويلجأ إلى الظن المذموم .

وعند حديثه عن ظاهرة الحنفاء الذين ظهرُوا قبل بعثة النبي . صلى الله عليه وسلم . يقول باريت : "ومن الضروري وجود أناس موهوبين مفكرين قبل محمد على فترات متباعدة، لم يجدوا ما يُرضيهم في التراث الديني المحلي، فاعتنقوا بعض الأفكار التي كانت معروضة دوماً من قِبَل اليهود والنصارى عن طيب خاطر، واعتبروها خاصة بهم" (٢) .

وما يثير الاستغراب أن باريت لم يحاول إيجاد صلة بينهم وبين النبي . صلى الله عليه وسلم . أو أنه تأثر بهم كعاداته ، مع ثبوت لقائه . صلى الله عليه وسلم . بورقة بن نوفل ، ففي حديث عائشة . رضي الله عنها . قالت : ((فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرأً تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أو مخرجي هم»، قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا. ثم لم ينشب ورقة أن توفي . وفتر الوحي)) (٣)

(١) متفق عليه ، صحيح البخاري : كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ١ / ٤ رقم (٣) و صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ١ / ١٣٩ - ١٤٠ رقم (١٦٠) .

(٢) محمد والقرآن : ٢٦ . ٢٧ .

(٣) متفق عليه ، صحيح البخاري : كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ١ / ٤ رقم (٣) و صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ١ / ١٣٩ - ١٤٠ رقم (١٦٠) .



وسبب تجاهل (رودي باريت) لهذا النص الذي يقع في بداية صحيح البخاري . الذي هو من مصادره . كما تجاهل غيره من الأحاديث أن هذا الحديث يثبت بما لا يقبل الشك صدق دعوة النبي . صلى الله عليه وسلم . ، فلو كان القرآن من عند رسول الله . صلى الله عليه وسلم . فلم فتر الوحي عنه ؟ وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعاني من هذا الفتور حتى نزل قوله تعالى ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ ^(١) وقد جاء في صحيح البخاري أيضاً ما يفسر هذا : ((احتبس جبريل - عليه السلام - على النبي - صلى الله عليه وسلم . فقالت امرأة من قريش: أبطأ عليه شيطانه، فنزلت: ﴿ وَالضُّحَى ﴾ * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ ^(٢))) ^(٣)

لقد ادعى رودري باريت رجوعه إلى مصادر عربية حديثة وتاريخية ، ولكنه لم يبين سبب عجز العرب عن الإتيان بمثل هذا القرآن مع أن قصة الوليد بن المغيرة ^(٤) قصة مشهورة في كتب السنن والسيرة النبوية ، إذ ((جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقرأ عليه القرآن، فكأنه رَقَّ له ، فبلغ ذلك أبا جهل ، فأتاه ، فقال : يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ؟ قال : لم ؟ قال : ليعطوكه ، فإنك أتيت مُحَمَّدًا لتعرض لما قبله ، قال : قد علمت قريش أنني من أكثرها مالاً، قال : فقل فيه قولاً يبلغ قومك إنك منكر له ، أو إنك كاره له ، قال : وماذا أقول ، فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ، ولا أعلم برجز ، ولا بقصيدة مني ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ، والله إن لقوله الذي يقول حلاوة ، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله ، وإنه ليعلو وما يعلو ، وإنه ليحطم ما اتحته . قال : لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه ، قال فدعني حتى أفكر ، فلما فكر قال : هذا سحر يؤثر

(١) سورة الضحى : الآية ٣ .

(٢) سورة الضحى : الآيات ١ . ٣ .

(٣) متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله . رضي الله عنه . . صحيح البخاري : كتاب التهجد ، باب باب ترك القيام للمريض ، ٣٧٨/١ ، رقم (١٠٧٣) و صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير ، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين ، ١١٤٢١/٣ ، رقم (١٧٩٧) .

(٤) هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو ابن مخزوم ، أبو عبد شمس : من قضاة العرب في الجاهلية ، ومن زعماء قريش ، ومن زنادقتها . وهو والد سيف الله خالد ابن الوليد . ينظر : الكامل في التاريخ، لأبي الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير، (ت ٦٣٠ هـ)، تحقيق : أبي الفداء عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٥ هـ . ١٩٩٥ م : ٢٦/٢ .



يأثره من غيره ، فنزلت : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأَرْهَقُهُ صُعُودًا (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ، ثُمَّ أدْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأُضْلِيهِ سَقَرَ ﴿ (١) ﴾ (٢) .

ثانياً . الروايات الموضوعة :

يبني رودري باريت قناعاته على الروايات الموضوعة ، ليستخلص منها ما يوافق أغراضه ، ومن ذلك قصة الغرانيق^(٣) الموضوعة التي ولع بها المستشرقون وأثاروا ضجة مختلفة حولها ، وقد ثبت اختلاق هذه القصة بما لا يبغي مجالاً للشك^(٤) .

وقد رد مترجم الكتاب الدكتور رضوان السيد على المؤلف بقوله : " وهي أسطورة ما صدّقها أكثرية المستشرقين ، فلماذا يصدقها باريت الذي ترجم القرآن وهو يعرف استحالة التوفيق بين الوجدانية وشفاعة الآلهة الوثنية " (٥) ؟

ثانياً . تحريف النصوص :

لا يحتاج لباحث إلى إيراد الشواهد التي تؤكد تحريف رودري باريت للنصوص ، فقد صرح هو بمنهجه في التعامل مع النصوص القطعية بقوله :

" بيد أنه رغم ثبات النص ورواياته المتواترة، تضل نصوص القرآن صاحب التأويل والدلالة على تاريخ النبي وزمانه" (٦) .

فهو يفتح الباب على مصراعيه ليتأول النصوص بما يريد تحت ذريعة الدراسة العلمية الموضوعية . فقد ناقش موضوع التوحيد وشهادة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) بقوله :

(١) سورة المدثر : الآيات ١١-٢٦ .

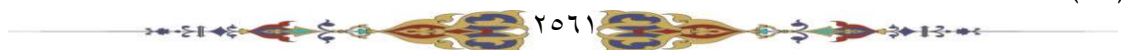
(٢) المستدرك على الصحيحين ، لأبي عبد الله الحافظ محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، (ت ٤٠٥ هـ) ، تحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١١ هـ . ١٩٩٠ م : ٥٥٠/٢ رقم (٣٨٧٢) و قال الحاكم : حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(٣) محمد والقرآن : ٢٥ .

(٤) ينظر في تفنيد هذه الرواية : كتاب نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي - بيروت ، ط ٣ / ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م : ٧ .

(٥) محمد والقرآن : هامش ص ٢٥ . ٢٦ .

(٦) محمد والقرآن : ٢٧١ .





"ولذلك لا بد من الذهاب إلى إحدى إكمانيتين ، لا تنفي إحداهما الأخرى على أي حال ، فأما أنه كانت هناك وحدانية بدائية (والبدائية لا تعني هنا أمراً سلبياً) ، أو أنه كان هناك تأثير للديانات التوحيدية الموجودة في الحواضر المحيطة بالجزيرة ، ونعني بها هنا اليهودية والمسيحية " (١) .

إن رودري باريت افترض أمرين واستبعد عن عمد رأي المسلمين في الموضوع ، فالإسلام دين إلهي وهو امتداد للأديان السابقة ، ولا بد أن تكون دعوة التوحيد هي نفسها في كل دين ، يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : ((أفضل الدعاء يوم عرفة ، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله وحده لا شريك له)) (٢) .

فهذا الحديث يشير إلى أن دعوة التوحيد هي واحدة في كل الديانات ؛ ولكن رفض رودري باريت عد الإسلام ديناً أوقعه في هذه المتاهات الافتراضية .

ويرد عليه أيضاً أن الإسلام إن كان قد اقتبس التوحيد من الديانتين ، فلم عاب على اليهود والنصارى نقضهم التوحيد بقولهم أن عزيز ابن الله ، وأن عيسى ابن الله ؟ قال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (٣) .

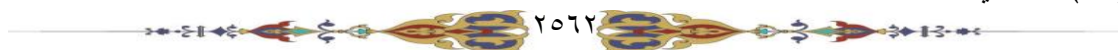
ويستشهد رودري باريت بحديث لعائشة . رضي الله عنها . ، فيقول : " فقد قالت عائشة تعليقاً على ذلك (أي استجابة الله تعالى لدعاء النبي . صلى الله عليه وسلم .) ما أسرع ربك إلى تلبية رغباتك . والمؤكد أن النبي نفسه قد أحس هذا الخطر ، وذلك فقد كان هناك انتقاد للنبي في القرآن " (٤) .

(١) محمد والقرآن : ٢٦ .

(٢) الموطأ (رواية يحيى بن يحيى)، لأبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي، (ت ١٧٩هـ)، تحقيق : محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبو ظبي / الإمارات، ط ١، ١٤٢٥هـ . ٢٠٠٤م : ١ / ٤٢٢ و السنن الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ . ١٩٩٤م : ٥ / ١١٧ . " وله طريق أخرى موصولة " و تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، لأبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق : السيد عبدالله هاشم اليماني المدني، المدينة المنورة، ١٣٨٤هـ . ١٩٦٤م : ٤٨٤/٢ .

(٣) سورة التوبة : الآية ٣٠ .

(٤) رودري باريت : محمد والقرآن ، ص ١٠٦ .





فاستنتج من هذا أن النبي . صلى الله عليه وسلم . لما سمع مقولة عائشة . رضي الله عنها . المتضمنة بعض النقد الموجه إليه باستجابة الله تعالى لدعائه ، يعلل ذلك بقوله : " وهذه النصوص تهيبنا نظرة عميقة عن الوعي الرسالي لدى النبي محمد . وقد تبدو محاولة نسبة التصور هنا وهناك إلى الشيطان متسمة بشيء من البراءة . بيد أن اعترافه بالذنب والخطأ ، والذي يظهر بوضوح بين السطور ، يبدو بالنسبة للناقد الموضوعي ، بالغ التأثير ، لما يشير إليه من موضوعية ونزاهة وبراءة نفس " (١) . وهذا لتليل ينم عن قصور معرفي ورجم بالغيب لا دليل عليه من منطق أو عقل أن ينظم النبي . صلى الله عليه وسلم . آيات يسمعها القاصي والداني رداً على مقولة زوجته عائشة . رضي الله عنها . .

رابعاً . انتقاء النصوص :

أصاب باريت بقوله : " ليس بالوسع كتابة سيرة محمد استناداً إلى القرآن وحده " (٢) ؛ لان القرآن الكريم لم يذكر تفاصيل كثيرة عن حياته ؛ " فان الأنبياء عن حياة النبي وعن التطورات الزمنية؛ ينبغي البحث عنها في فرع آخر من فروع الأدبيات العربية : الحديث والتاريخ، والواقع أن هذين التخصصين لا يقف الواحد منها مستقلاً عن الآخر ، وتبقى الحدود سائلة " (٣) .

ولكن كيف تعامل مع كتب الحديث ؟

يعلن رودري باريت شكه بالمصادر الحديثية والتاريخية ، وأنه لا يمكن الوثوق بها إلا بقدر ما تقدمه من مقارنة للحقيقة ، وفوض الأمر إلى ذكاء الباحث لكشف ذلك مع إقراره بالتفاصيل الدقيقة التي تضمنتها تلك الكتب إلا أنه يعتقد أن قدسية شخصية النبي . صلى الله عليه وسلم . أثرت في الكتاب وأنهم كتبوا ما كتبوه متأثرين بها (٤)

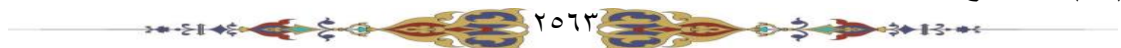
وقد سعى رودري باريت إلى نفي الوحي بكل وسيلة ممكنة ، وركز على تلقي النبي . صلى الله عليه وسلم . أسس القرآن من اليهود والنصارى والوثنيين ، وأنه من صياغة النبي . صلى الله عليه وسلم . .

(١) رودري باريت : محمد والقرآن ، ص ١٠٨ .

(٢) محمد والقرآن : ٢٧٥ .

(٣) محمد والقرآن : ٢٧٥ .

(٤) المرجع نفسه : ٢٧٦ .





ومن محاولات رودري باريت نفي الوحي قوله : " إن الأمر بالقراءة أو الإلقاء في (اقرأ) في السورة وما بعد هذه الايات ، هو الوحي الأول ، فيما تقوله الرواية الإسلامية ، بيد أنه لا برهان على صحة هذه المرويات ، وإن كنا نرى فيها بذرة حقيقية " (١) .
هذا النص محاولة لتشويه الحقائق ولخلط الأوراق ، ويبدو أن باريت كتب هذا مدفوعاً باتجاهين :

الأول . نفي الوحي ، بوصفه هدفاً أولياً سعى إليه مع أول سطور كتابه .
الثاني . عدم قدرته على إنكار الحقائق القرآنية ، ولكن المكابرة تمنعه من قول الحقيقة ، فقال : " وإن كنا نرى فيها بذرة حقيقية " .
وهنا سلسلة أسئلة تفرض نفسها تقوض غزل باريت : ما هي البراهين التي يريدنا رودري باريت ؟

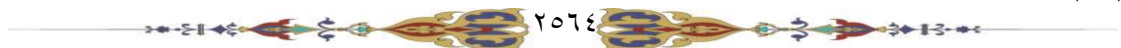
ألا يكفي كتاباً مدوناً محفوظاً من عصر ندر فيه التدوين ، وتوافقه كتب الحديث والسيرة والتاريخ ؟ وإن كانت هذه الأدلة مع قوتها غير كافية لإقناع باريت ، فما هي الأدلة التي دفعته للاقتناع بالتوراة والإنجيل مع أن أدلتهم لا ترتقي إلى أدلة القرآن بأي شكل من الأشكال ؟
وما المقصود بالبذرة الحقيقية ؟ أهو قوله إن الإلقاء بدأ بكلمة (اقرأ) ؟ وإن كان كذلك فهو إقرار بالنبوة .

ومن الكتب الحديثية التي اعتمدها باريت :
" البخاري جامع أقدم الصحاح الستة للمرويات توفي عام ٩٧٠م "
البخاري: الصحيح مجموع للحديث النبوي أربع أجزاء (Leiden) من ١٨٦٢ إلى ١٩٠٨م ترجمها إلى الفرنسية هوداس ومرسيه. أربع مجلدات، باريس ١٩٠٣ . ١٩١٤م.
مسلم توفي ٨٧٥، الصحيح بشرح النووي، خمس مجلدات، القاهرة ١٢٨٣هـ، غير مترجم " (٢) .

فقد رجع إلى الصحيحين : البخاري ومسلم ، فلم هذا التعامي عن السنة النبوية إذن ؟

(١) المرجع نفسه : ٩٤ .

(٢) محمد والقرآن : ٢٧٦ .





الخاتمة

الحمد لله حقّ حمده ، والصلاة والسلام على خير خلقه . بعد هذا العرض أخصّ أهم ما جاء فيه بما يأتي :

- ١ . اتصفت غالبية جهود المستشرقين بمناوئتها للإسلام وإن ادعت الموضوعية ، أو الحيادية ، وأنها مهما كانت موضوعية في مضمونها ومحتواها إلا أنها لم تسلم من تعصب وهوى والعمل على خدمة نزعات دينية واستعمارية .
- ٢ . لا تخرج أفكار رودري باريت عن أفكار غيره من المستشرقين السابقين الذين يدعون العلمية والموضوعية ، سواء في محاولة رد كل مجد أو مفخرة إلى غير العرب وإلى غير المسلمين ، أو في إنكار النبوة .
- ٣ . إن ابرز المنطلقات الفكرية لرودري باريت قامت على مبدأ إنكار النبوة ، وهو يرى أن الإسلام عبارة عن مزيج من الأفكار الدينية التي كانت شائعة في جزيرة العرب ، وفي مقدمتها اليهودية ، ثم النصرانية ، والوثنية ، والجن ، والكهان .
- ٤ . تعامل رودري باريت مع السنة النبوية وقد وضع نصب عينيه أن يوظف ما فيها للطعن بالنبوة وتكذيب الوحي ، فكان منهجه في هذا : تجاهل النصوص التي توافق غرضه مع أنها قد وردت في مصادره التي اعتمدها في كتابه (محمد والقرآن) ، والاعتماد على الروايات الموضوعية ، وليّ النصوص وتحريفها أو تأويلها تأويلاً مغلوطاً ، وينتقي ما يشاء مما يوافق أغراضه .

المصادر والمراجع

- ١ . آراء المستشرقين حول القرآن الكريم دراسة ونقد ، د . عمر بن إبراهيم رضوان ، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، بلا تاريخ .
- ٢ . أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر ، د. محمد خليفة حسن ، جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ، ٢٠٠٠ م .
- ٣ . الاستشراق ، د مازن بن صلاح مطبقاني ، منشورات مكتبة الملك فهد ، السعودية ، ٢٠٠٥ م .
- ٤ . الاستشراق والتاريخ الإسلامي ، د. فاروق عمر فوزي . الدار الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن ، ط١ ، ١٩٩٨ م .
- ٥ . الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، محمود حمدي زقزوق. دار المعارف ، مصر ، ١٩٩٧ م .



٦. تاريخ الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبري، لأبي جعفر محمد ابن جرير الطبري، (ت ٣١٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ . ١٩٧٨م
٧. ترجمة معاني القرآن الكريم في أمانيا الدوافع والأهداف ، الدكتور محمود العلي حسينات ، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الأول للباحثين في القرآن الكريم وعلومه في موضوع : جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم ، فاس للمدة من ١٤ . ١٦ أبريل ٢٠١١ م .
٨. تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي ، عبد الجبار ناجي . منشورات دار الجاحظ، بغداد ، ١٩٨١ م .
٩. تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، لأبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ت ٨٥٢ هـ)، تحقيق : السيد عبدالله هاشم اليماني المدني، المدينة المنورة، ١٣٨٤هـ . ١٩٦٤ م .
١٠. خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم ، محمد بن أحمد بن مصطفى ابن أحمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة . ١٤٢٥ هـ .
١١. الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية (المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه) ، رودى باريت ، ترجمة مصطفى ماهر ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧م
١٢. رؤية إسلامية للاستشراق ، أحمد عبدالحميد غراب ، المنتدى الإسلامي ، لندن ، ط ٢ ، ١٤١١ هـ .
١٣. السنن الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، (ت ٤٥٨ هـ)، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤ هـ . ١٩٩٤ م .
١٤. السيرة النبوية، لأبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري البصري، (ت ٢١٣ هـ)، تقديم وتعليق : طه عبدالرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٤١١ هـ .
١٥. صحيح البخاري، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، (ت ٢٥٦ هـ)، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ودار اليمامة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧ هـ . ١٩٨٧ م .



١٦. صحيح مسلم . لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت ٢٦١هـ)، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ .
١٧. الكامل في التاريخ، لأبي الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم محمد ابن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير، (ت ٦٣٠ هـ)، تحقيق : أبي الفداء عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤١٥ هـ . ١٩٩٥ م .
١٨. لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، (ت ٧١١ هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٦٨ م .
١٩. المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام ، محمد البهي (ت ١٤٠٢ هـ) ، مطبعة الأزهر ، مصر ، بلا تاريخ .
٢٠. محمد والقرآن ، رودري باريت ، ترجمة : الدكتور رضوان السيد ، مؤسسة شرق غرب للنشر، ط ١ ، الإمارات ، ٢٠٠٩ م .
٢١. المستدرك على الصحيحين، لأبي عبدالله الحافظ محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، (ت ٤٠٥ هـ)، تحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١ هـ . ١٩٩٠ م .
٢٢. المستشرقون الناطقون بالإنجليزية ، دراسة نقدية ، د. عبد اللطيف الطيباوي ، ترجمة : د. قاسم السامرائي ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، السعودية ، ١٩٩١ م .
٢٣. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، (ت ٧٧٠ هـ)، أشرف عليها يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط ١، ١٤٢٣ هـ . ٢٠٠٢ م .
٢٤. معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، (ت ١٤٢٤ هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٢٩ هـ . ٢٠٠٨ م .
٢٥. المعجم الوسيط، قام بإخراجه : إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات، وحامد عبدالقادر، ومحمد علي النجار، دار الدعوة، تركيا، ط ٣، ١٩٨٩ م .
٢٦. معجم متن اللغة ، أحمد رضا ، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٨ م .
٢٧. مناهج المستشرقين ، د. سعدون الساموك . جامعة بغداد ، ١٩٨٥ م .



٢٨. مناهج المستشرقين الألمان في ترجمات القرآن الكريم في ضوء نظريات الترجمة الحديثة ، محمود محمد حجاج رشدي ، بحث نشر ضمن أبحاث ندوة القرآن الكريم في الدراسات الإستشراقية ، السعودية ، ١٤٢٧ هـ . ٢٠٠٦ م .
٢٩. موسوعة المستشرقين، د. عبد الرحمن البدوي ، دار العلم للملايين، ط٣ ، بيروت ، ١٩٩٣ م.
٣٠. الموطأ (رواية يحيى بن يحيى)، لأبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي، (ت١٧٩هـ)، تحقيق : محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبو ظبي / الإمارات، ط١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .
٣١. نبوة محمد ﷺ في الفكر الاستشراقي المعاصر ، لخضر شايب. مكتبة العبيكان ، السعودية ، ٢٠٠٢ م .
٣٢. نصب المجانيق لنسف قصة الغرائيق، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، ط/٣، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .